عنوان المحاضرة (نقد الأسلوب ومقاييسه)

ب- المقاييس الجمالية

اعداد : أ . م . د . مرتضى عبد النبي الشاوي

دراسات عليا – ماجستير / فرع الأدب / مادة دراسات في النقد العربي القديم

١-الغرابة

الغريب يقصد به كلمة غامضة لا تستقيم مع غيرها في نص ما فتعطي انطباعا بخشونتها او عدم اتساقها مع الكلمات الأخرى في النص .

وأغلب النقاد والبلاغيين العرب القدامى مثال بشر بن المعمر في صحيفته والجاحظ وقدامة بن جعفر وابو هلال العسكري يقفون من الغرابة موقف الرفض أو على الأقل الاستثقال والكراهية ويدعون الشعراء المحدثين إلى الابتعاد عنها في نتاجهم الشعري .

وقد عبر العديد من الشعراء العرب عن موقفهم من استخدام الألفاظ الغريبة في الشعر .

والبعض كالكميت يعترف بأنه يسعى إلى الغرابة سعياً وكأنما اتخذها مذهباً شعريا له فقد امتاز شعره بكثرة الغريب مثلا قوله :

هو الأضبط الهوّاس فينا شجاعة وفيمن يعاديه الهجفّ المثقل

فيراد بالأضبط : الشديد ، والهواس : الذي يجيء ويذهب بالليل ، والهجف : الظليم

واستعمال الكميت للغريب لا يخدم تجربته الشعرية في قوة البناء الشعري وثقافته اللغوية .

ويقف أغلب الشعراء موقفاً رافضاً للغرابة في الشعر إما بانتقادهم لمن يعمدون إليها أو بدعوتهم إلى الابتعاد عنها .

يعد عبدالله بن المعتز احد الشعراء الذين انتقدوا أبا تمام لاعتماده على الغريب كما في قوله :

كان في الأجفلى وفي النقرى عر فك نضر العموم نضر الوحاد

يقال : دعاهم الجفلى إذا دعاهم كلهم فأجفلوا ... وهذا من الكلام البغيض والغريب المستكره من البدوي فكيف جاء من ابن قرية متأدب . وغير ذلك .

٢-الإطالة والإيجاز

العرب أمة تعشق الإطالة وتولع بها وقد شكل الايجاز أهم ألوان التي تستحوذ على أعجابهم بل كان في منظور بعضهم البلاغة نفسها فالبلاغة هي الايجاز أو لمحة دالة وغير ذلك .

غير أن ذلك لا يعني رفضهم للإطالة ووقوف جميع القدامى ضدها فقد كان من يميل الى جانبها .

فالحطيئة يفسر ميله الى الايجاز في قصائده بكونه أكثر تأثيرا على المتلقي وانه يساعد على انتشار شعره بين الناس ويسهم في عدم ضياعه فقد سئل ((ما بال قصارك أكثر من طوالك ؟ فقال : لأنّها في الآذان أولج وبالأفواه أعلق)) .

وقد يؤكد الشعراء على الايجاز من خلال اشعارهم فمثلا يقف الشاعر الجمّاز في تفضيله للإيجاز فقد سئل لم لا تطيل فقال لحذفي الفضول وأكد ذلك في شعره فقال :

أقول بيتاً واحداً اكتفى بذكره من دون أبيات

٣-التكرار :

التكرار في الشعر ظاهرة أسلوبية قديمة كان الشاعر العربي يلجأ إليها لأهداف معينة ذكرها ابن رشيق منها التشوّق والاستعذاب في الغزل والنسيب او على سبيل التقرير والتوبيخ او التعظيم للمحكي عنه او التوجع كان رثاء او تأنيبا أو الازدراء و التهكيم والتنقيص في الهجاء وغير ذلك .

وقد كان للشعراء العرب بعض الملاحظات النقدية حول التكرار في نتاج غيرهم فمثلا في رواية عن بشار بن برد ينتقد قول الطرماح بن حكيم :

فما للنّوى لا بارك الله في النّوى وهمّ لنا منها كهمّ المباين

إذا يقول معلقاً عليه (ان هذا البيت لو وثبت عليه الشاة لأكلته)

وهذه السخرية من بشار جاءت تعليقاً على استخدام الشاعر للفظة (النوى) مرتين .

ويقف الثعالبي مع بشار في نقده اذ يقول (صدق بشار ، إعادة الأسماء في بيت أكثر من مرة عيّ)

وينتقد أبو نواس مسلم بن الوليد لقوله :

سلّت فسلت ثم سلت سليلها فأتى سليل سليلها مسلولا

إذ علق على هذا البيت قائلا (والله لو رميت الناس في الطرق لكان أحسن من هذا) فقد اخذ عليه في تكرار للفظ (سل) ومشتقاتها بشكل أساء إلى البيت .

٤-ملاءمة الألفاظ للمعاني :

اهتم النقاد القدامى بدعوة الشعراء الى الملاءمة بين الالفاظ والمعاني في نتاجهم الشعري فليست كل الألفاظ تناسب كل المعاني اذ ان بعضها قد يناسب موضوعاً ولا يحقق ذلك مع آخر .

وقد لمس الشعراء في نقدهم هذا الجانب وكأنهم يؤكدون على أهمية أن يحرص الشاعر أن لا يكون هناك تنافر بين اللفظ والمعنى الذي يعبر عنه .

وينتقد بشار بن برد قول الشاعر :

ألا إنما ليلى عصا خيزرانة إذا غمزوها بالأكف تلين

فقد قال معلقاً على هذا البيت (والله لو زعم أنها عصا مخ أو عصا زبد لقد كان جعلها جافية بعد أن جعلها عصا)

فلفظة (عصا) كا يرى بشار تتناقض مع الليونة التي يهدف الشاعر إلى وصف حبيبته بها .

٥-الملاءمة بي ألفاظ الشعر :

من العناصر الأساسية في جودة الصنعة الشعرية قدرة الشاعر على أن تأتي ألفاظه متلائمة فيما بينها وهذا ما يعطى للجانب الجمالي في الشعر قوة .

والملاءمة بين الألفاظ على ضربين :

أ-ملاءمة من طريق الصيغة

ابن وكيع ينتقد أبا الطيب المتنبي من هذا الجانب على قوله :

وعجاجة ترك الحديد سوادها زنجاً تبسّم أو قذالاً شائبا

فيقول (الأحسن في صعنة لو أمكنه أن يقول (زنجياً أو قذالا شائبا) أو (زنجاً تبسم أو أقذلة شائبة) فيأتي بالجمع مع الجمع والمفرد مع المفرد)

ب-ملاءمة من طريق المعنى :

وهذا ما عرف عند البلاغيين القدامى بالمقابلة والمطابقة

فقد انتقد نصيب بن رباح قول الكميت بن زيد الأسدي :

وقد رأينا بها حوراً منعّمة بيضاً تكامل فيها الدّل والشنب

إذ قال له (تباعدت في قولك (تكامل فيها الدل والشنب) فنصيب يعيب على الكميت استعماله للفظة (الدل) مع (الشنب) اذ ان المقابلة بينهما فاسدة فالدل صفة معنوية والشنب صفة حسية وكان على الشاعر ان يذكر مع الدل صفة تناسبها كالغنج مثلا .

٦-الشاعرية :

تتكون اللغة من كم وافر من المفردات التي يستطيع الانسان التعبير بها عن أفكاره ونقلها للأخرين واذا كان للشخص العادي ان يستعمل ما شاء من الألفاظ فإن للشعر لغته الخاصة التي تميزها عن غيرها .

فكان الشعراء النقاد يدعون الشاعر لترك بعض المفردات لأسباب منها :

أ-عدم استساغتها لعدم اتساق حروفها :

فقد انتقد مسلم بن الوليد قول أبي العتاهية :

رويدك يا إنسان لا أنت تقفز

فقال (أخرجت تقفز من فم شاعر محسن قط) فهذه اللفظة لم تجد قبولا عن مسلم ونفر منها ذوقه الأدبي اذ يرى أن لا تليق بالشعر .

ب-ابتذالها إما بكونها عامية أو لمنافاتها للذوق العام :

فهذا أبو العباس النامي انتقد قول المتنبي :

إنّي على شغفي بما في خمرها لأعفّ عما في سراويلاتها

وهذا النقد منصب على لفظة (سراويلاتها) اذ ان ذكر الملابس الداخلية يتنافى مع الذوق العام وكان على المتنبي أن يختار لفظة أخرى .

٧-الأنساب :

الشعر فن يعتمد على الموسيقى فالعلاقة بينهما علاقة شديدة وقد انتقد بعض الشعراء عدداً من الابيات التي لمسول فيها عدم تحقق الأنساب في ألفاظها .

انتقد عبد الله بن المعتز أبا تمام بعض أبياته للأنساب اذ يشعر بعدم انسجام بعض ألفاظها مع ما جاورها مما يتولد معه معاناة عند قراءتها أو إنشادها . فمن ذلك قول نقده لقول أبي تمام :

د ع دموعي في ذلك الإشتياق تتناجى بذكر يوم الفراق

فقد علق عليه قائلا (ما أقبح قوله : في ذلك الاشتياق) وهذا ما يبدو واضحاً اذ ان قاريء البيت يشعر بنوع من التعثر عند كلمة (ذلك) وما جاء بعدها اذ يفتقد البيت سلاسته معها .

٨-وحدة النسج :

يحدد ابو هلال العسكري معنى وحدة النسج عندما يقول في تعريف الشعر : (الشعر كلام منسوج ولفظ منظوم وأحسنه ما تلاءم نسجه ولم يسخف وحسن لفظه ولم يهجن)

فاختلاف النسج بأن ينتقل الشاعر من الجزالة الى الرقة ومن الصعوبة الى السهولة يعد عيباً في نظر القدامى .

وما ما يلمس في نقد الفرزدق للنابغة الجعدي فقد سئل عن شعره فقال (صاحب خلقان يكون عنده مطرف بألف وخمار بواف) .

٩-الصورة الفنية

المقصود بالتعبير بالصورة الفنية البعد عن التعبير المباشر إذ يلجأ الشاعر إلى الايحاء بالأفكار والمشاعر والأحاسيس بوسيلة تصويرية وليس بطريق التصريح بالأفكار المجردة أو بمعنى أوضح التعبير عن المعنى المقصود بطريق التشبيه أو المجاز أو الكناية أو تجسيد المعاني . ووظيفة الصورة في الشعر ليست محصورة في كونها زينة شكلية يستخدمها الشاعر لجذب المتلقي وانما تتجاوز ذلك لتكون الوسيط الاساس الذي يستكشف به الشاعر تجربته .

وقد كان للشعراء القدامى معايير في نقدهم للصورة القائمة على التشبيه منها عدم التناسب بين طرفي التشبيه

وعلى هذا النحو انتقد الحسن بن وكيع المتنبي في قوله :

رأيت الحميا في الزجاج بكفه فشبهتها بالشمس في البدر في البحر

فهو يقول (سمى الخمر بالحميا وانما هي حدة الخمر وسورتها فجعلها اسما كما ترى وشبه الزجاج بالبدر ولم يشترط أنها في جام لأنّ الكأس لا تشبه البدر لأنّ شكلها مدور مستطيل وشبه راحتها بالبحر تشبيهات غير متشاكلات .

وكذلك كان لهم معايير في الاستعارة من حيث الابتعاد عن غرابة الاستعارة فقد انتقد محمد بن الخثعني الشاعر أبا تمام قائلا (جنّ أبو تمام في قوله :

تروح علينا كل يوم وتغتدي خطوب يكاد الدهر منهن يصرع

أيصرع الدهر)

فأبو تمام تخيل الدهر انسانا وان الخطوب التي ألمت بالشاعر تكاد تصرعه فهذه الاستعارة التي أقدم عليها أبو تمام هي جنون في رأي الناقد الذي يرى أن الشاعر تجاوز الحد في خياله وخالف حدود العقل .

وخلاصة القول يمكن أن نلخص المقاييس الجمالية التي استند اليها الشعراء في نقدهم للأسلوب تكشف لنا عن لعناصر التي كانوا يطلبونها في النص الشعري الجيد وأهمها :

١-الحرص على سلامة النص الشعري من الأخلال بقواعد اللغة العربية

٢-أن يعمد الشاعر الى اختيار الألفاظ التي تكون كثر دقة في التعبير عن مضمون أبياته .

٣-البعد عن الالفاظ الغريبة

٤-الميل الى الايجاز غالباً

٥-تجنب تكرار الالفاظ دون أن يكون للتكرار قيمة فنية للنص .

٦-الملاءمة بين ألفاظ النص ومعانيه التي يعبر عنها .

٧-الملاءمة بين ألفاظ النص الشعري .

٨-الحرص على شاعرية اللغة فللشعر لغته الخاصة التي تفرض على الشاعر أن يختار ألفاظه بعناية .

٩-أن تكون أبياته متسمة بالانسياب فلا توجد نفرة بينها

١٠-ان يحافظ النص الشعري على وحدة النسج

١١-التأكيد على أهمية الصورة الفنية في الشعر من باب الحرص على تناسب طرفي الصورة وغيره .